ابن سينا

الشفاء

المنطق

٨ - الخطابة

تصدير ومراجعة الدكتور ابراهيم مدكور
حققه الدكتور محمد سليم سالم

نشر وزارة المعارف العمومية
الإدارة العامة للثقافة

بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس

المطبعة الأميرية بالقاهرة
١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

مَنشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم المقدسة - ايران ١٤٠٤ ق

فهرس الكتاب

المقالة الثالثة

المقالة الرابعة

رموز المخطوطات

بخيت	(ب)
بخيت (هامش)	(بخ)
حسن العطار	(ح)
دار الكتب	(د)
دار الكتب (١)	(د١)
سليمانية داماد	(س)
داماد الجديد	(سا)
متحف بريطاني	(م)
نور عثمانية	(ن)
مكتب هندى	(ه)

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

للدكتور إبراهيم مدكور

البلاغة عند ابن سينا

لم يكن ابن سينا خطيبا ولا محاضرا ، ولئن كان قد اشتغل بالسياسة فإنها لم تفسح له المجال لمخاطبة الجماهير والتأثير فيها . وأستاذيته أقرب الى المحادثة والتلقين منها إلى العرض والشرح، ذلك لأنه لم يقم بالتدريس فى مسجد أو مدرسة، وإنما التف حوله نفر قليل من التلاميذ والأتباع الذين كانوا يسجلون ما يمليه عليهم أو يتدارسون فى حضرته بعض كتبه ورسائله ؛ وإن استعجم عليهم أمر استوضحوا عنه . على أنه فى حياته القلقة المضطربة لم ينعم كثيرا بتلك الجلسات العلمية الهادئة .

ولا يمكن أن يعد أيضا كاتبا ولا شاعرا ، لأن نثره لا يخلو من غموض وتعقيد، وإن روّى فيه بدا مركزا تركيزا مضنيا ، وقد يتأنق فيسجع ويعنى بالصناعة اللفظية . ونظمه فى أغلبه تعليمى يقوم على أداء المعانى واستكمال الحقائق ، دون حرص على جزالة اللفظ وسمو التركيب . وأسلوبه فى جملته لا يسمو إلى مستوى الأساليب الأدبية الممتازة ، وإنما كان همه أن يعرض القضايا العلمية والفلسفية بطريقة واضحة ما أمكن .

ولم يعن بالأدب عناية خاصة، ولم يقف عليه شيئا يذكر من كتبه و رسائله . وأغلب الظن أنه لم يكتب فى الخطابة والشعر إلا محاكاة لأرسطو وسيرا على سننه، وهو فى هذا أقرب إلى التشريع والتقنين منه إلى النقد والتحليل، يعرض القاعدة والنظرية دون أن يقف عند الأمثلة والنماذج الأدبية . وما الخطابة والشعر فى رأيه إلا بابان من أبواب الجدل والمنطق ، أو بعبارة أخرى فرعان من فروع الفلسفة .

*
* *

ولابن سينا كتابان هامان فى الخطابة ، يصدران عن أصل واحد ، و يكوّنان جزءا من المنطق، و يلتقيان فيما اشتملا عليه من آراء و نظريات، أحدهما مختصر والآخر مبسوط .

والأول " فى معانى كتاب ريطوريقا " ، وهو قسم من " الحكمة العروضية " ، أو " كتاب المجموع " الذى ألفه فى بخارى ، ولما يجاوز الحادية والعشرين ، بناء على طلب أبى الحسن العروضى . و يقوم على تعريف الخطابة ، و بيان منفعتها ، وصلتها بالجدل ، وأغراض الخطيب ، ووسائل الاستدلال ، و يعرض فى اختصار المبادئ الأساسية للفن الخطابى[1] . وكل ذلك فى أسلوب واضح امتزج فيه الجدل بالسياسة ، والمنطق بالأخلاق وعلم النفس ، وهو بهذا يعتبر ملخصا دقيقا للكتاب الأول من "خطابة أرسطو" ، ومقدمة صالحة لفن البلاغة عند ابن سينا .

والثانى " الخطابة " — موضوع تحقيقنا — وهو الفن الثامن من فنون المنطق التى تكوّن الجملة الأولى من جمل " الشفاء "[2] . و يشتمل على أربع

(1) ابن سينا ، كتاب المجموع ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ١٥ — ٧٦ .

(2) ابن سينا ، المدخل ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٤٤ .

مقالات ، وتحت كل مقالة عدة فصول . وتقف المقالة الأولى عند شرح حدّ الخطابة ، ومنفعتها ، وصلتها بالصنائع الأخرى ، ووسائل الاستدلال . وهى أشبه ما يكون بمقدمة عامة للكتاب جميعه ، وفى هذا ما يقرّبها كل القرب من " معانى كتاب ريطوريقا " ، وإن كانت أشمل بحثا وأغزر مادة[1] . وتفصّل الثانية القول فى أنواع الاستدلال الخطابى ، وخاصة المشورات والمنافرات ، محللة إياها فى ضوء الطباع والميول والانفعالات ، من لذة وألم ، وحب وكره ، فتربط الخطابة بالسيكلوجيا ربطا وثيقا[2] . وتوضح الثالثة المشاجرات ، وهى النوع الأخير من الاستدلال الخطابى ، مبينة صلتها بالسياسة والسجايا الخلقية ، من شفقة وقسوة ، وشجاعة وجبن[3] . وتعالج الرابعة ترتيب القول الخطابى وخصائصه ، والتحسينات اللفظية ، والألفاظ المستهجنة ، وبذا تكتمل آراء ابن سينا البلاغية[4] .

ويمكن أن تردّ هـذه الآراء إلى بابين رئيسيين : يدور أولها حول الأقيسة البلاغية الصالحة لمخاطبة الجماهير مدحا أو ذما ، اعتذارا أو عتبا . وأهم هذه الأقيسة الضمير (ἐνθύμημα=enthymème) ، والتمثيل (παράδειγμα= exemple) . ويدور الثانى حول الترتيبات والتحسينات التى تجعل هذه الأقيسة أوضح عرضا ، وأكثر إقناعا ، كتخير اللفظ ، وتحديد مكانه فى الجملة ، واستعماله على طريق الحقيقة أو المجاز ، وكيفية نطقه ، ونغمة الصوت ونبراته ، وهيئة الخطيب وموقفه من المستمعين . دراسة موضوعية وقف عليها

(1) ابن سينا ، الخطابة ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١ — ٤٩ .
(2) المصدر نفسه ، ص ٥٣ ١٢٦ .
(3) » » ، ص ١٢٩ — ١٩٣ .
(4) » » ، ١٩٧ — ٢٤٧ .

ابن سينا المقالات الثلاث الأولى من كتابه ، وأخرى شكلية عرضها فى المقالة الرابعة والأخيرة ؛ والدراستان متصلتان ومتكاملتان .

١ — الضمير :

وهو قياس اكتفى بمقدمته الصغرى، وأهملت الكبرى ، خشية ظهور كذبها أو إمكان معارضتها ، كقول القائل: هذا الشاب متردد فى ظلمة الليل، فهو إذن منتهز لفرصة التلصص، وفى هذا ما يكفى للإقناع الخطابى. ولو ذكرت الكبرى، وقيل : كل متردد فى ظلمة الليل منتهز لفرصة التلصص ، لبان تهافت الدليل وفات الإقناع المنشود[1] . والضمير من الخطابة كالبرهان من العلوم ، فهو استدلال ظنى يلائم الإقناع العابر ومخاطبة الجماهير[2] . ويبذل ابن سينا الجهد كله فى تطبيقه على أنواع الاستدلال الخطابى ، من مشورات ومنافرات ومشاجرات . ومن الضمائر ما هو محرّف ، ومع ذلك يقبل فى الخطابة . ومنها ما هو معيب مرذول يقصد به المغالطة ، وواجب الخطيب أن يتحرز منه[3] .

٢ — التمثيل :

وهو الحكم على جزئى بمثل ما فى جزئى آخر يشترك معه أو يشابهه فى معنى جامع. وقد يكون هذا الاشتراك والمشابهة حقيقيين، أو بحسب الرأى الذائع أو الظاهر، وقد تكون الصلة مجرد اشتراك فى الاسم[4]. ومن هنا كان التمثيل دليلا غير يقينى، وأقواه ما كان المعنى المتشابه فيه هو الموجب للحكم فى الشبيه[5] . أما أوجه

---

(١) ابن سينا ، كتاب المجموع ، ص ٢٣ — ٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .

(٣) ابن سينا ، الخطابة ، ص ١٨٧ — ١٩٠ .

(٤) ابن سينا ، الاشارات ، ليدن ، سنة ١٨٩٢ ، ص ٦٤ — ٦٥ ؛ كتاب المجموع ، ص ٢٥ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٦ .

الاشتراك الأخرى فلا تفيد إلا ظنا ، وتكسب الجماهير ضربا من الاقتناع . وهذا التمثيل المنطقي هو الذي اصطلح الفقهاء على تسميته بالقياس [1] . ومن القدامى من لم يوافق على استعماله في الاستدلال الخطابي، واقتصر على الضمير[2]. وأنكره في الإسلام أيضا بعض أنصار الظاهر ، كالروافض والداودية من نفاة القياس [3] .

واضح أن ابن سينا إنما يعرض في كل هذا نظريات منطقية ، سبق له أن عالجها فيما سماه " لواحق القياس " ، وقرر أنها لا تسمو إلى مستوى الاستدلال اليقيني[4] . وكل ما أضافه من جديد هنا إنما هو محاولة تطبيقها على الاستدلال البلاغي ، وفي هذه المحاولة يسترسل في دراسات سياسية وأخلاقية وسيكلوجية. ولم يفته أن يشير إلى أن هناك أدلة خطابية غير هذه الأدلة المنطقية ، ومنها الشهود ، والعهود ، والأيمان[5] .

٣ ــ البحث البلاغي الخالص :

ما إن فرغ ابن سينا من هذا حتى عرض لموضوعات تمس أقسام البلاغة المختلفة ، من معاني ، وبيان ، وبديع . فيدعو إلى ضرورة تخير الألفاظ وفصاحتها ومطابقتها لمقتضى الحال، ذلك لأن درجة الاقتناع بمعنى تخضع للفظ الذي يؤديه ، وكثيرا ما آذن اللفظ الجزل بجزالة المعنى ، ورصانة التعبير تقترن

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) » » .

(٣) » » .

(٤) ابن سينا ، النجاة ، القاهرة ، سنة ١٩١٣ ، ص ٩٠ ــ ٩١ .

(٥) ابن سينا ، الخطابة ، ص ١١٧ ــ ١٢٦ .

عادة بعمق التفكير ، وقد يجعل اللفظ السفساف المعنى سفسافا أيضا[1] . وما أحوج الخطيب لأن يوجز حيث ينبغى الإيجاز ، ويطنب فى مقام الإطناب[2] .

وفى الاستعارة والتشبيه ما يؤكد المعنى ويقويه ، لأنهما يبعثان على الاستغراب والتعجب الذى يستولى على السامع ويأسر لبه[3] . والاستعارة ، وإن كانت إلى الشعر أقرب ، مفيدة فى النثر كذلك ، والمهم هو حسن استعمالها ووضعها فى المكان الملائم لها[4] . وقيمة كل استعارة فيما أخذت عنه وما استعملت فيه ، فكلما كان المستعار منه لطيفا معروفا ، كان الانتقال إلى المستعار إليه يسيرا . والتشبيه يجرى فى الخطابة مجرى الاستعارة ، وينفع نفعها ، ومن أمثلته : وثب أخيل كالأسد[5] .

لسنا فى حاجة أن نلاحظ أن ابن سينا يصدر فى كل هذا عن أرسطو ، يردد آراءه ، ويرد على معارضيه ، ويقدم لنا فى " الخطابة " أوضح صورة عربية لما كتبه المعلم الأول باليونانية[6] . وقد يختلف عنه فى بعض التفاصيل والجزئيات ، كتبويب الكتاب ، وتعريف بعض المصطلحات ، ولكن آراءه البلاغية تحمل شارة أرسطية واضحة . ولعله فى حرصه على تأثر خطا استاذه لم يحاول أن يمزج هذه الآراء بالأدب العربى المزج الذى كنا نرتجيه .

* * *

(1) المصدر نفسه ، ص ١٩٩ — ٢١٣ .

(2) المصدر نفسه .

(3) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(4) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ .

(5) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

(6) الدكتور طه حسين ، نقد النثر ، القاهرة سنة ١٩٣٣ ، ص ٢٤ — ٢٧ .

ولم يبق اليوم شك فى أن البلاغة العربية تأثرت بالفلسفة ، وبالمنطق على الأخص[1]. وقديما فرقوا بين الطريقة الكلامية والأدبية ، وما الأولى الا درس للبلاغة فى ضوء الكلام والفلسفة[2]. وفى تاريخ هذه البلاغة ما يشهد بأن معظم من كتبوا فيها فلاسفة أو متفلسفون، ويكفى أن نشير إلى قدامة بن جعفر وعبد القاهر الجرجانى اللذين يعدان بحق فى مقدمة مؤسسيها [3] .

ولا شك فى أن منطق أرسطو — والخطابة من أجزائه — كان أكثر نفوذا الى البلاغة العربية ، ارتبط بها منذ نشأتها ، وسايرها حتى وصلت القمة . وفى ثناياها بحوث منطقية متنوعة فى الألفاظ والقضايا والأقيسة ، لأنها كانت تعتبر ضرورية للبحث البيانى ضرورة الأبحاث اللغوية والنحوية ، ومتممة لعلم المعانى الذى يقوم على الحد والاستدلال [4] .

وتشاء الصدف أن يكون منطق أرسطو من أولى كتبه ترجمة إلى العربية ، بحيث استطاع أن يلتقى مع نشأة البلاغة [5] . ويظهر أن " كتاب الخطابة " بالذات ترجم غير مرة ، وكانت ترجمته الأولى مبكرة فى النصف الأخير من القرن الثانى للهجرة [6] . ولقد لخصه فلاسفة الإسلام أو علقوا عليه وشرحوه ،

---

(١) المصدر السابق ؛ أمين الخولى ، البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ، القاهرة سنة ١٩٣١

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩ — ٢١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤ — ٨ .

(٤) السكاكى ، مفتاح العلوم ، القاهرة سنة ١٣١٨ هـ ، ص ٧٠ .

(٥) Madkour–L'Organon d'Aristote dans le monde Arabe, Paris, 1934, p. 27-29.

(٦) ابن النديم ، الفهرست ، طبعة أوروبا ، ص ٢٤٤ .

وابن سينا — فيما وصلنا — أوضحهم شرحا وأكثرهم تحليلا . وفى نشر كتابه فى "الخطابة" اليوم ما يلقى ضوءا جديدا على البلاغة العربية ومدى صلتها بالبلاغة اليونانية .

***

وقد اضطلع بهذا النشر الدكتور محمد سليم سالم ، فتوفر عليه منذ أربع سنوات أو يزيد ، جامعا للمخطوطات وموازنا بينها . واكتمل له منها تسع متفاوتة الرتبة ، إلا أنها كافية لتحقيق النص المعروض [1] . على أنه لم يقف عندها ، بل رجع إلى الأصل اليونانى "لخطابة" أرسطو ، وكان لابد له أن يفعل ، لأن ابن سينا نفسه تمنى هذا ، وأشار غير مرة إلى ورود أمور على لسان أرسطو لم يتيسر له فهمها [2] . وأعان المحقق على ذلك تمكنه من اليونانية وإحاطته بآدابها ، فهو استاذ الدراسات القديمة بجامعة ابراهيم . هذا إلى أنه ليس حديث العهد بالخطابة عند ابن سينا ، فقد سبق أن نشر "فى معانى كتاب ريطوريقا" ، الذى أشرنا اليه من قبل نشرا دقيقا .

وأضاف إلى هذا التحقيق مقدمة عرض فيها للمدارس البلاغية اليونانية التى وردت على ألسنة مفكرى الإسلام ، والتى كان لآرائها شأن خاص فى بلاغة أرسطو وتلاميذه. ثم ختم بفهرس للأعلام ودليل للكتاب. وبذا ساهم بنصيب ملحوظ فى نشر "كتاب الشفاء" الذى يتطلب جهودا متضافرة .

ولا شك فى أن نشر "كتاب الخطابة" على هذا النحو سيفتح أبوابا لدراسات مختلفة ، ويحيي معلما من معالم التراث الإسلامى .

---

(١) ص (٢٤) — (٣٠) .

(٢) ص (٢٠) .

مقـــــدمة

للدكتور محمد سليم سالم

الخطابة قبل أرسطو :

نشأت الخطابة كفن يلقن وقواعد تبحث فى جزيرة صقلية وذلك على أثر الأحداث التى مرت بالجزيرة بعد طرد الطغاة[1] ، وما تلاه من عودة الحياة الديمقراطية ورجوع من شردهم الطغيان ومطالبتهم بأموالهم المصادرة وتعدد المنازعات وقيام الدعاوى بينهم و بين من وقعت فى أيديهم هذه الأموال[2] .

وكان أول من اتجه إلى تعليم الخطابة رجل من أهل جزيرة صقلية يسمى « كوراكس » Κόραξ [3] ، عرفه العرب باسم «غراب» الخطيب[4]. وقد وضع كوراكس لتلاميذه رسالة فى صناعة الخطابة عنى فيها بأمرين : أولهما الترتيب ، فإليه ينسب التقسيم الخماسى للخطبة[5] ؛ وثانيهما الأدلة المستقاة من مواضع الممكن وغير الممكن[6] .

---

(١) عبارة سيشرون فى كتابه بروتوس ، ١٢ — ٤٦ : sublatis in Sicilia tyrannis مبهمة ، فلا يمكن أن نتبين منها أى طاغية يقصد سيشرون ، غير أن آخر طاغية طرد من صقلية هو ثراسو بولوس ، وكان ذلك فى عام ٤٦٦ ق . م .

٢) استق سيشرون ، بروتوس ، ١٢ — ٤٦ : Itaque ait Aristoteles ، ما ذكر عن نشأة الخطابة من كتاب لأرسطو هو Τεχνῶν συναγωγή . وقد ضاع هذا الكتاب الذى لخص فيه أرسطو كل ما عرف فى زمانه من قواعد الخطابة وتاريخها .

(٣) أنظر مقال : Aulitzky فى Pauly-Wissowa-Kroll, Real-Encyclopädie تحت اسم : Korax ، الأعمدة ١٣٧٩ — ١٣٨١ .

(٤) القفطى ، تأريخ الحكماء ، ٢٥٣ — ٢٥٤ (طبعة ليبسك ، ١٩٠٣) .

(٥) Sandys, Cicero, Orator, introduction, p. v, n. 4.

(٦) أرسطو ، ٢ — ٢٤ — ١١ (١٤٠٢ أ ١٧) : ἔστι δ' ἐκ τούτου τοῦ τόπου ἡ Κόρακος τέχνη συγκειμένη — عن مواضع الممكن : أنظر أيضا ص ١٦٤ وما بعدها من كتابنا هذا .

وجاء بعده تلميذه « تيسياس » Τεισίας[1] الذى كان من عادته أن يكتب خطبا يتقاضى عنها أجرا[2] . وقد أقام مدرسته أولا فى سراقوسه ؛ ولما لم يطب له المقام فيها ، انتقل إلى ثورى التى أنشئت عام ٤٤٣ ق.م. وفى مقره الجديد درس عليه «لوسياس» Λυσίας الذى أصبح فيما بعد من أشهر خطباء أثينه ، وامتاز أسلوبه بأنه السهل الممتنع[3]. ويقال إنه لما أرسلت بلدة ليونتينى وفدا يطلب العون من أثينه عام ٤٢٧ ق.م، كان تيسياس من بين أعضائه[4] ، كما كان تلميذه جورجياس . وتقول هذه الرواية إن تيسياس استطاب العيش فى أثينه فاشتغل فيها بتدريس الخطابة ، وكان من بين تلاميذه هناك إيسوقراطيس[5] .

والثابت أن تيسياس ألف فى الخطابة كتابا سار فيه على نهج أستاذ « كوراكس » ، وقد ذاع كتابه واشتهر وتداوله الناس[6] .

---

(١) عرف العرب تيسياس ، وقد حرف اسمه إلى ثيسناس فى القفطى ، تأريخ الحكماء ، ١٠٩ . وسرد القفطى فى ترجمتــه حياة غراب الخطيب ذاك الحوار المشهور الذى قيل إنه دار بين كوراكس وتيسياس .

(٢) Pausanias, VI, 17, 8

(٣) حياة لوسياس المنسوبة إلى فلوطارخوس ، ١٥ : παιδευόμενος παρὰ Τεισίᾳ . أحسن من كتب عن لوسياس هو Jobb فى كتابه خطباء أتيكا Attic Orators ، ج ١ ، ص ١٤٣ وما بعدها .

(٤) Pausanias, VI, 17, 8 : ἀφικόμενον κατὰ πρεσβείαν ὁμοῦ Τισίᾳ παρ' Ἀθηναίους هذه رواية ضعيفة إذ يبعد أن يذهب تيسياس إلى أثينه يستعديها على بلدة سراقوسه ، إلا إذا افترضنا أنه بانتقاله إلى ثورى قد قطع كل علاقة بموطنه الأصلى .

(٥) حياة إيسوقراطيس المنسوبة إلى فلوطارخس ، ٢

(٦) سيشرون ، عن الأدلة ، ٢—٦ : a principe illo et inventore Tisia . ولكنه يعدل عن هذا الرأى فى كتبه الأخرى .

أفلاطون ، فيدروس ، ٢٧٣ ب — ج ، يشير إلى أحد الأمثلة الموجودة فى كتاب تيسياس عن الرجل الضعيف الذى يعتدى على رجل ضخم ، فإذا أراد أن يدفع عن نفسه التهمة قال : كيف يمكن لمثلى أن يعتدى على مثله ؟ وهو مثال معروف . أنظر : الحكمة العروضية ، ص ٦٨ ، هامش ٢ ؛ وقارن ص ١٠٥ من كتابنا هذا .

وفن الخطابة الذى علمه كوراكس وتلميذه تيسياس كان قاصرا على تلقين مبادئ الإقناع . وقد أثار تعريف مدرستهما للخطابة بأنها منتجة الإقناع : πειθοῦς δημιουργός[1] انتقادات مريرة من الناحيتين الخلقية والفنية ، فمن الناحية الخلقية قد يدعو مثل هذا التهافت على الإقناع إلى أن يحاول الخطيب أن يقنع بأى وسيلة ، وبهذا تنحدر الخطابة إلى مهاوى السفسطة[2] . وهذا هو الجانب الذى أثار غضب الأثينيين على الفن الجديد . ومن الناحية العلمية يعتبر مثل هذا التعريف ناقصا لأنه لايحد ما يراد تعريفه ؛ فليس القول وحده هو منتج الإقناع ، بل قد يقنع المال والجاه والجمال وغير ذلك [3] .

ثراسوماخوس :

ومن أعظم معلمى الخطابة الذين ساروا فى أثر تيسياس رجل من بلدة خالقيدون (أو قالخيدون) ولد حوالى عام ٤٥٥ ق.م. وقد ذكره أرسطو مرات فى كتاب « ريطوريقا »[4] ، وردد ابن سينا — نقلا عن أرسطو — اسمه[5] . وجعله أفلاطون فى كتابه « فيدروس » على رأس معلمى الخطابة[6] وأسند إليه

(١) أفلاطون ، جورجياس ، الفصل الثامن ، ٤٥٣ أ ؛ القفطى ، تأريخ الحكماء ، ١٠٩ : " الخطابة المفيدة للإقناع " ؛ ٢٥٣ : " المنتخبة للإقناع "

(٢) رمى السفسطائيون بأنهم يعلمون الشباب كيف يجعل الدليل الضعيف قويا والقوى ضعيفا . وهذه هى إحدى الإتهامات التى وجهها العامة إلى سقراط (أفلاطون ، الدفاع عن سقراط ، الفصل الثالث ، ١٩ ب) . وقد نسب أبو حيان التوحيدى ، البصائر والذخائر ، ٩٣ ، إلى سقراط تعريفا للخطابة يردد هذا القول : " قيل لسقراطيس الفيلسوف — وكان من خطبائهم — ما صناعة الخطيب ؟ قال : أن يعظم شأن الأشياء الحقيرة ، و يصغر شأن الأشياء العظيمة " .

(٣) ص ٩ ، ١٠ من كتابنا هذا .

(٤) الكتاب الثانى ، ٢٣ — ٢٩ (١٤٠٠ ب ٢٠) . الكتاب الثالث ، ١ — ٧ (١٤٠٤ أ ١٤ — ١٥) ؛ ٨ — ٤ (١٤٠٩ أ ٢) ؛ ١١ — ١٣ (١٤١٣ أ ٨)

(٥) أنظر ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٠ ، ٢٢٤

(٦) أفلاطون ، فيدروس ، ٢٦٦ ج ؛ ٢٧١ أ

فى كتاب الجمهورية دور الجدلى العنيد . وقد عنى به ثيوفراستوس ، تلميذ أرسطو ، فقال عنه فى كتابه « عن الأسلوب » περὶ λέξεως إنه بدأ عصرا جديدا فى النثر اليونانى[١] ،وخصه الناقد اليونانى الذائع الصيت «ديونوسيوس» بالتفوق فى الأسلوب الوسيط الذى لا يهبط إلى السهولة المبتذلة ولا يرتفع إلى الأسلوب الرفيع المتسامى[٢] . ويمكن أن نستنتج مما ذكره سيشرون فى كتابه «الخطيب» أن ثراسوماخوس هو مبتدع النثر الموزون[٣] ؛ وربما كان الخطيب الرومانى ينقل ما يرويه عن ثيوفراستوس . ويؤكد أرسطو أن خطباء اليونان بدأوا منذ زمن ثراسوماخوس يستعملون البيان παιάν فى وزن النثر ، لأن البيان أكثر مواءمة للنثر[٤] ؛ ولكن أرسطو لا يقول فى جلاء إن كان ثراسوماخوس هو أول من ابتدع ذلك . وربما كان هذا هو الحق ، لا سيما إن رجعنا إلى رواية سيشرون .

ومن الثابت أن ثراسوماخوس أغرم بالمحسنات البديعية ، ولا سيما تلك التى تهدف إلى جعل النثر قريبا من الشعر ؛ وقد امتاز بالقدرة على ابتداع الأفكار والإبداع فى التعبير عنها . كما ألف كتابا فى إثارة الشفقة ذكره كل من أفلاطون وأرسطو[٥] .

---

(١) أنظر مقال Klaus Oppenheimer فى Pauly-Wissowa-Kroll, Real-Encyclopädie تحت اسم Thrasymachus الأعمدة ٥٨١ — ٥٩٢ ؛
Suidas, S.V. Θρασύμαχος : ὃς πρῶτος περίοδον καὶ κῶλον κατέδειξε

(٢) Dionys. Hal., Demosth., 3.

(٣) سيشرون ، الخطيب ، ٣٩ : haec tractasse Thrasymachum Calchedonium primum

(٤) ارسطو ، ٣ — ٨ — ٤ (١٤٠٩ أ ٢ — ٣) ؛ أنظر ص ٢٢٤ من كتابنا هذا .

(٥) أفلاطون ، فيدروس ، ٢٦٧ ج ، د ؛ أرسطو ، ٣ — ١ — ٧ (١٤٠٤ أ ١٤ — ١٥) :
οἷον Θρασύμαχος ἐν τοῖς ἐλέοις

أفلاطون :

أما أفلاطون فقد تعرض للخطابة فى كثير من مؤلفاته ؛ ولكنه خصها بكتابين هما : جورجياس وفيدروس . وقد حمل فى "جورجياس" حملة عنيفة على الخطابة السفسطائية ؛ بينما هو يحاول فى " فيدروس " أن يدلل على أن فن الخطابة الذى يستأهل هذا الاسم يجب أن يرتكز على علمى النفس والجدل.

يدور النقاش فى "جورجياس" حول ماهية الخطابة . ويحاول جورجياس وبولس أن يقدما تعريفا يتلقاه سقراط بالرضا، ولكن سقراط لا يجد صعوبة فى دحض كل ما يتقدمان به . أما سقراط نفسه فعندما يطالب بتعريف الخطابة ينكر أن الخطابة فن حقيقى يمكن أن يحد على نهج علمى. إذ هى فى نظره ملكة أو قدرة على إقناع الجهال واستمالة النظارة . فهى إذن نوع من التملق[1]

ويظهر أثر " فيدروس " جليا فى كتاب الخطابة الذى وضعه أرسطو . فالفكرة التى بسطها أفلاطون هى التى أفاض تلميذه أرسطو فى تنسيقها فى الكتابين الأول والثانى من ريطوريقا. ذلك لأن أرسطو فى الكتاب الأول من ريطوريقا يبحث فى وسائل الإقناع التى تستمد من المنطق ، أعنى تلك تؤخذ من الضمائر والأمثلة ؛ أما فى الكتاب الثانى فإنه يشرح الجانب النفسى من الخطابة ، فهو يدرس الانفعالات وتأثيرها فى الإقناع .

---

(١) أفلاطون ، جورجياس ، ٤٦٦ أ :

Κολακείας μὲν οὖν ἔγωγε εἶπον μόριον.

أرسطو والخطابة :

وضع أرسطو فى الخطابة كتبا عديدة[1] قبل أن يؤلف كتابه الخالد "ريطوريقا" الذى أصبح العمدة فى هذا الفن ،والذى ترجم أكثر من مرة إلى اللغة العربية وصنف له فلاسفة العرب شروحا كثيرة .

ولسنا نعرف على وجه التحديد التاريخ الذى أملى فيه أرسطو كتاب الخطابة. ولكن المعروف أنه ألفه فى مدينة أثينه عندما نزح إليها مرة ثانية وأقام بها ثلاث عشرة سنة (٣٣٥ — ٣٢٢ ق . م) . ومن الراجح أن أرسطو ألف هذا الكتاب بين ٣٣٥ — ٣٣٠ ق . م[2] .

ويؤيد هذا أن أحدث إشارة يمكن تأريخها على وجه الدقة هى ذكره للصلح الذى تم فى كورنثه بين الإسكندر الأكبر وبين بقية بلاد اليونان ، ما عدا اسبرطه ، فى خريف عام ٣٣٦ ق . م[3] .

ويمكن أن نجد تأييدا آخر فى كثرة ما اقتطف أرسطو من كتابات إيسوقراطيس على ما عرف من جفاء بينهما . ولا بد أن يكون هذا قد حدث بعد موت إيسوقراطيس عام ٣٣٨ ق.م. والموت يخفف عادة الموجدة ويقضى على كل سخيمة .

---

(١) Diogenes Laertius, v, 24 . أشار أرسطو، ريطوريقا، ٣ — ٩ — ٩ (١٤١٠ ب ٣) إلى أحد هذه الكتب .

(٢) Dufour, Aristote, Rhétorique I, p. 14 — 16, . يظن ديفور أن كتاب الخطابة ألف حوالى سنة ٣٢٩ — ٣٢٣ ق.م

(٣) ٢ — ٣ — ٢٣ — ١٨ (١٣٩٩ ب ١٢ — ١٣) : καὶ τὸ μετέχειν τῆς κοινῆς εἰρήνης ولكن أنظر الهامش السابق .

وعلى كثرة ما اقتطف أرسطو من مؤلفات إيسوقراطيس ، فمن الغريب أننا لانجد إشارة صريحة إلى ديموستنيس، أعظم خطباء العالم القديم. فهل يمكن أن يكون العداء المتبادل بين فيليب وابنه و بين زعيم أثينه هو الذى صرف أرسطو (الذى عاش فى بلاط فيليب وعلم الاسكندر) عن الإشارة إلى خطب ديموستنيس ؟

كتاب ريطوريقا :

يعتبر كتاب ريطوريقا من أهم ما ألف أرسطو، بل هو فى الحق كتاب وحيد فى بابه ، أتى فيـه أرسطو على تجاريب خطباء اليونان ومؤلفى كتب الخطابة من قبله . وينفرد هذا الكتاب بشىء من وضع أرسطو نفسه ، ألا وهو تطبيق المنطق على الخطابة . فكتاب ريطوريقا إن هو إلا دراسـة جديدة للخطابة على ضوء علمى الجدل والنفس .

وجه أرسطو قارص لومه إلى مؤلفى الرسائل التعليمية τέχναι لإهمالهم الجانب المنطقى من الخطابة وإسهابهـم فى شرح الخارجيات ومحاولات التأثير على القضاة[1] .

ولكن عذر هؤلاء أنهم لم يعرفوا "عمود" الخطابة فهو من وضع أرسطو .

وقد تُرجم كتاب ريطوريقا إلى اللغة العربية أكثر من مرة : فهناك محاولة أولى يسميها ابن النديم "النقل القديم" ، دون أن يذكر اسم مترجمها ولا زمانه .

---

(١) انظر كتابنا هذا ص ٨ ، ١٢ .

ولكنه يقول إنه رآها فى نحو مائة ورقة بخط أحمد بن الطيب السرخسى تلميذ الكندى ومعلم المعتضد(١) .

أما الترجمة الثانية فتنسب إلى اسحق بن حنين المتوفى سنة ٢٩٨ﻫ أو سنة ٢٩٩ﻫ . غير أن ابن النديم يتردد فى قبول هذه الرواية التى يصدرها بكلمة "قيل"(٢) .

وكان هناك ترجمة أخرى قام بها ابراهيم بن عبد الله وهو الذى نقل المقالة الثامنة من كتاب طوبيقا(٣) .

وقد بقيت لدينا ترجمة وحيدة لا نستطيع أن ننسبها إلى أحد ، فلسنا ندرى من ترجمها ولا فى أى زمن ترجمت(٤) .

ولكنى أظن أنها هى ذاك النقل القديم ، لما فيها من أخطاء تؤذن بأنها محاولة أولى .

وقد شرح الفارابى كتاب ريطوريقا شرحا ذاع وانتشر(٥) وبقى حتى اطلع عليه ابن رشد(٦) وإن لم يصل إلينا .

---

(١) الفهرست ، ص ٢٥٠ (طبعة فلوجل) ؛ القفطى ، تأريخ الحكماء ، ص ٣٧ — ٣٨ .

(٢) الفهرست ، ٢٥٠ : "وقيل إن اسحق نقله إلى العربى" ؛ القفطى تأريخ الحكماء ، ٣٧ .

(٣) الفهرست ، ص ٢٤٩ ؛ Khalil Georr, Les catégories D'Aristote, p. 197

(٤) Kalil Georr, Les catégories d'Aristote, p. 186-9. فيه وصف للمخطوط ؛ Steinschneider, 48 ؛ Wenrich, 133 ؛ الحكمة العروضية ، ص ٨ وما بعدها .

(٥) الفهرست ، ٢٥٠ : "فسره الفارابى أبو نصر" ؛ القفطى ، تأريخ الحكماء ، ٣٧ ؛ الفهرست ، ٢٦٣ : "وفسر الفارابى من كتب أرسطاليس مما يوجد ويتداوله الناس ... كتاب الخطابة أروطوريقا" .

(٦) ابن رشد ، تلخيص الخطابة ، ٢٩ (طبعة القاهرة) ؛ ابن رشد ، تلخيص الشعر ، ٤٤ (طبعة لازينيو Lasinio)

وشرحه ابن سينا كاملا فى الشفاء . واختصه قبل ذلك وهو شاب فى الحادية والعشرين من عمره بفصل موجز فى كتاب المجموع أو الحكمة العروضية فسر فيه الكتاب الأول من ريطوريقا ، خلا الفصل الأخير الذى يبحث فى الأدلة التى ليست عن صناعة[1] .

وعلق ابن سينا على هذا الجزء بعينه من السفر الأول من كتاب ريطوريقا فى بعض كتبه الأخرى كالبهجة فى المنطق[2] .

وقد حاولت أن أدلل عند نشرى للفصل الذى يبحث فى معانى كتاب ريطوريقا من كتاب المجموع أو الحكمة العروضية على أن ابن سينا لم يطلع إلا على الترجمة العربية التى وصلت إلينا والتى نجدها فى مخطوط محفوظ فى المكتبة الأهلية بباريس . فابن سينا ينقل عن هذه الترجمة نقلا حرفيا[3] ، ويردد الكثير من أغلاطها دون أن يدرك أنها لا تمت إلى أرسطو[4] .

ومع ذلك استطاع ابن سينا بثاقب فكره وتمكنه من المبادئ الأرسطية واطلاعه على مؤلفات أرسطو الأخرى وشروحها العربية أن يتبين بعض مواطن الخطأ فى الترجمة العربية . ونجده فى " الحكمة العروضية " وهو شاب لم تكتمل

---

(١) ابن سينا ، كتاب المجموع أو الحكمة العروضية ، فى معانى كتاب ريطوريقا (طبعة محمد سليم سالم)

(٢) الأب قنواتى ، مؤلفات ابن سينا ، ص ١١٢ رقم ٤٢ (البهجة فى المنطق) ؛ ص ١١٤ رقم ٤٤ (الموجز) ؛ انظر : الحكمة العروضية ص ٤٥ هامش ٢ .

(٣) ردد ابن سينا تعريف الخطابة كما جاء فى الترجمة العربية القديمة ، ١٣ أ ٢٤ : "قوة تتكلف الإقناع الممكن فى كل واحد من الأمور المفردة" فى كتابنا هذا ص ٢٨ ؛ وفى الحكمة العروضية ، ص ١٥٠ ونقل من الترجمة العربية (١٦ أ ١٨ — ٢٠) نقلا حرفيا فى الحكمة العروضية ص ٦٠

(٤) أنظر الحكمة العروضية ، ص ٢٧ هامش ١ ؛ ص ٣٤ هامش ٢ ؛ ص ٣٥ هامش ١ ؛ ص ٣٦ هامش ١ ، ٣ ؛ ص ٣٨ هامش ١ ، ٢ ؛ ص ٤٣ هامش ٢ ؛ ص ٤٩ هامش ١ ؛ ص ٥٢ هامش ٤ ؛ ص ٥٥ هامش ٢ ؛ ص ٥٦ هامش ١ ؛ ص ٦٢ هامش ٣ ؛ ص ٦٣ هامش ٥ ؛ ص ٦٤ هامش ٢ ؛ ص ٦٥ هامش ٥ ؛ ص ٧١ هامش ١ ، ٣ ، ٤ ؛ ص ٧٤ هامش ١ ، ٣ ؛ ص ٧٥ هامش

قوته يتردد فى الجهر بذلك ، أما فى "الشفاء" فيبدو أكثر جرأة لأنه أغزر علما . وأول نقد وجهه ابن سينا لترجمة كتاب أرسطو جاء فى كتاب المجموع أو الحكمة العروضية عند بحثه فى أجناس الكلام الريطورى وأغراض كل قسم. ولم يكن ابن سينا يعتمد فى تفهمه لهذا الجزء من كتاب ريطوريقا على الترجمة العربية وحدها ، لأن بعض أجزاء هذه الترجمة كما وصلت إلينا — وربما لم تك أحسن حالا فى زمن ابن سينا — لا يمكن أن تؤدى أى معنى[1] . ولدينا أدلة كثيرة على أن ابن سينا فى شرحه لكتاب ريطوريقا لم يعتمد على الترجمة العربية فقط بل رجع إلى كتب أرسطو فى السياسة والأخلاق وإلى رسالة فى آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى[2] . ومن الصعب أن يقال إنه لم ير شرح الفارابى للخطابة .

ولا يحجم ابن سينا فى كتاب الشفاء عن أن يعلن أن هناك أجزاء فى الترجمة العربية لم يستطع فهمها ؛ فهو يقول فى ص ٨١ من كتابنا هذا : "وأورد لهذا الباب أمثلة فى التعليم الأول لم أفهمها"[3] ؛ واللوم لا يقع على الشيخ الرئيس وإنما على المترجم ، فليس هناك ذكاء بشرى يستطيع أن يفقه معنى للألفاظ المرصوصة التى نجدها فى الترجمة العربية كما وصلت إلينا[4] . وواضح من كلام ابن سينا أنه لم يحظ بنص أفضل .

---

(١) الحكمة العروضية ، ص ١٩ ، ولا سيما هامش ٢ .

(٢) انظر الحكمة العروضية ، ص ٢٧ هامش ٢ ؛ وكتابنا هذا ص ٦٢ ؛ الحكمة العروضية ، ص ٣٨ هامش ٣ ؛ الحكمة العروضية ، ص ٤٠ هامش ٢ ؛ ص ٤١ هامش ٤ ؛ وكتابنا هذا ص ٦٢ — ٦٣ .

(٣) أنظر أيضا ص ٢٢٤ من كتابنا هذا : "ويشبه — والله أعلم — ..." ؛ "ثم لليونانيين فى هذا الباب أحوال لم نحصلها ..." .

(٤) الترجمة العربية القديمة ، ١٢ ب ٢١ — ١٣ أ ١ ؛ أرسطو ، ١ — ٧ — ٣٢ ، ٣٣ (١٣٦٥ أ ٢٤ وما بعده) .

ونجد فى كتاب الشفاء أمارات على أن ابن سينا ربما يكون قد اطلع على شروح وضعها غيره لكتاب ريطوريقا .

فهو يقول بجلاء عند محاولته التفرقة بين المقنع الحقيقى و بين ما يرى مقنعا : "فهذا هو الفرق بين المقنع الحقيقى وغير الحقيقى ، لا وجوه أخرى قيلت فى كتب خطابية لأقوام محدثين" (١) .

و يحذرنا ابن سينا عند شرحه لتعريف الخطابة من السير فى أثر من أخطأوا فى تحديد معنى "الإقناع الممكن" ، فيقول : "ولا يلتفت إلى تفسير آخر" (٢) .

وقد ردد ابن سينا فى أكثر من مكان واحد عبارات يفهم منها مخالفته لشراح آخرين تعرضوا لمناقشة تلك الأصول التى يتناولها بالبحث فى كتابه . فيقول : "هكذا ينبغى أن يفهم هذا الموضع" أو "والأحب إلى أن يفهم هذا الفصل هكذا" (٣) .

وأهم من ذلك كله تلك المواضع التى تظهر من ناحية مخالفة ابن سينا لغيره من الشراح ، ومن ناحية أخرى عدم رضائه عن الترجمة العربية ، ومطالبته من يعرفون اللغة اليونانية بالرجوع إليها .

ومن هذه الأمثلة ما نجده فى صفحة ٨١ من كتابنا هذا . فابن سينا يردد أولا عبارة الترجمة العربية ، ١٣ | ٥ — ٦ ، وهى : "والصحة أفضل من الضعف ، لأن تلك له ، فأما هذا فلا" ؛ ثم يضيف : وقد "فُهم من الضَّعف الضِّعف بمعنى اليسار وتضاعف المال ، وفهم من الخاص ليس الخاص بالغاية ، بل الخاص بالكاسب" . ولكن ابن سينا لا يرضى عن هذا الرأى ، ولا يوافق على الترجمة ، فيجهر برأيه قائلا : "وعندى أنه وقع فى النسخ غلط ،

(١) أنظر ص ٢٦ من كتابنا هذا .

(٢) أنظر ص ٢٩ من كتابنا هذا .

(٣) أنظر ص ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢

ويجب مكان الضعف عدم الضعف أو مابه وهو القوة . ولكن يجب أن يرجع إلى الأصل اليونانى " .

فاذا رجعنا إلى النص اليونانى رأينا صدق حدس ابن سينا . فالمترجم إلىاللغة العربية قد أخطأ . لأن أرسطو ، ريطوريقا ، ١ — ٧، ٣٥ (١٣٦٥ ا ٣٥ — ٣٦) ، لا يتحدث عن الصحة والمرض ، ولا عن الصحة والمال ، ولا عن القوة وعكسها ، بل يذكر أن الممكن أفضل من غير الممكن :

Καὶ τὸ δυνατὸν τοῦ ἀδυνάτου· τὸ μὲν γὰρ αὐτῷ, τὸ δ' οὔ.

وقد أشار ابن سينا فى صفحة ٧٤ من كتابنا هذا إلى رأى لأحد من تصدوا للتعليق على كتاب ريطوريقا ، فشرح ابن سينا ذاك التفسير ووضحه ، وبيّن أن الخلاف فى هذا الموضع يدور أيضا حول قراءة كلمة "الضعف" وهل هى بكسر الضاد أم بفتحها .

يقول ابن سينا : " وإذا دام الإذعان للحن واشتد الضعف والخوف حتى جاوز بالجفاء وقت الضرورة أورث الاستيحاش لا محالة. وقد فهم بعضهم من الضَّعف الضِّعف وهو التضاعف ، فكان معناه أن الشىء إذا تضاعف أملّ وإن كان قبله سهلا " .

غير أن ابن سينا هنا لم يدرك ، كما أدرك فى صفحة ٨١ ، أن المترجم إلى اللغة العربية ربما يكون قد أخطأ ، فضلّ وأضل ، وقاد إلى الاختلاف حيث لا خلاف . ذلك أننا لو رجعنا إلى الأصل اليونانى لوجدنا أن أرسطوطاليس[1] لا يحث فى ضعف أو خوف ، وإنما فى حد الصعب τὸ χαλεπόν الذى يعرف أو يميز بما يصاحبه من ألم أو بما يستغرقه من زمن . غير أننا نستطيع أن نتبين فى الترجمة العربية التى وصلت إلينا ذكرا للخوف والحزن والضعف[2] .

(١) أرسطو ، ١ — ٦ — ٢٧ (١٣٦٣ أ ٢٣ — ٢٤) :

τὸ γὰρ χαλεπὸν ὁρίζεται ἢ λύπῃ ἢ πλήθει χρόνου.

(٢) الترجمة العربية القديمة ، ١٠ ب ٢٣ — ١١ أ ١ : «لأن الضعف . . الحزن فى طول الزمان» . ومن الواضح أن المترجم عرّب كلمة λύπη (ألم) بالحزن .

وهناك موضع جدير بالذكر بحث فيه ابن سينا أمثلة ساقها أرسطو للتدليل بها على المغالطات السفسطائية . وقد قرر ابن سينا أنها من باب اللواحق أو جزئية اللواحق ، وهو على حق فى ذلك ، غير أنه يرى أنها تأخرت عن مكانها لغلط من النساخ[١] . فإذا رجعنا إلى الأصل اليونانى وجدنا أنها فى مكانها ؛ إلا أن ابن سينا صادق الحدس ، فهناك خطأ فى الترجمة العربية ، لأن أرسطو يصدّر هذه الأمثلة بما يدل على بابها[٢] . ومن الجائز أن يكون المترجم قد صحف كلمة ἑπόμενον فقرأها εἰρόμενον [٣] .

وفى موضع آخر نجد أن ابن سينا قد أحس بأن هناك خطأ ما فى الترجمة العربية ، ولكنه لا يجزم بذلك ، فقد تكون الترجمة صحيحة ، و يكون التأويل كفيلا بأن يزيل ما بها من صعوبة[٤] . فإذا ما رجعنا إلى الأصل اليونانى[٥] ، وضح لنا أن المترجم أخطأ[٦] ؛ وأن خطأه قد أضل من ساروا على هديه . فأرسطو لا يذكر هنا شيئا عن القضاء أو القدر ، وعلى ذلك فليس هناك مايدعو إلى البحث فى إثبات " لا " أو حذفها ، لأن الترجمة العربية قد بعدت عن الأصل اليونانى .

---

(١) ص ١٩٠ من كتابنا هذا : « وعندى أنها قريبة من باب اللواحق ، أو جزئية اللاحق ، وأنه تأخر عنه لغلط من النساخ » .

(٢) أرسطو ، ٢ — ٢٤ — ٧ (١٤٠١ ب ٢٠ — ٢١) :
ἄλλος τὸ παρὰ τὸ ἑπόμενον.

(٣) قارن ص ١٨٩ من كتابنا هذا : « ومن ذلك قوله : ينبغى أن يفهم على ما أعبر عنه » .

(٤) ص ١٥٠ من كتابنا هذا : « وقيل فى التعليم الأول : فأما الذين يصيرون الى ذلك بلا حتم أو قضاء . يشبه أن تكون لفظة "لا" قد وقعت زائدة سهوا من الناقلين أو غيرهم ، أو يشبه أن يكون معناه بلا حتم من الكاسبين ، ولا تقدير منهم ، فيكون كأنه قال : بلا توقع من الناس وتقدير » .

(٥) ارسطو ، ٢ — ٩ — ٢ (١٣٨٦ ب ١٥) : τοῖς δὲ εὖ νεμεσᾶν

(٦) الترجمة العربية القديمة ، ٣٣ ب ١٨ — ١٩ : « فاما الذين يصيرون الى ذلك بلا حتم أو قضى فينبغى أن ... » .

المخطوطات

اعتمدت فى تحقيق نص كتاب الخطابة على تسعة مخطوطات ، منها ما هو تام كامل لم يفقد منه شيء ، ومنها ما ضاعت منه وريقات عدا عليها الدهر فأطارها من مكانها ، ومنها ما لم يبق منه إلا فصول قليلة .

وهده المخطوطات هى :

(١)	مخطوط بخيت (مخطوط الأزهر)	ورمزه	ب
(٢)	« العطار	«	ح
(٣)	« داماد الجديد	«	سا
(٤)	« سليمانية (داماد)	«	س
(٥)	مخطوط المكتب الهندى	«	هـ
(٦)	« المتحف البريطانى	«	م
(٧)	« نور عثمانية	«	ن
(٨)	« دار الكتب (٨٩٤ فلسفة)	«	د
(٩)	« « « (١) (٢٦٢ فلسفة)	«	دا

وترجع هذه المخطوطات إلى أزمنة مختلفة ، وقد كتبت بخطوط متباينة ، فى بلاد متفرقة ، وهى تنقسم إلى فصائل أو عائلات سنحاول أن نتبينها فيما يأتى ، لأنه على قدر معرفتنا بتاريخ كل مخطوط وصلته بغيره يمكننا أن نقدر قيمة القراءات التى نجدها فيه .

وأفضل هذه المخطوطات وأصحها هو المخطوط الذى كان يملكه المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية .

وقد وقفه على أهل العلم سنة ١٣٢٨ هـ ، وهو الآن محفوظ بمكتبة الجامعة الأزهرية .

وقد كتب بخط نسخى ، قليل النقط ، ولكنه واضح أشد الوضوح ، ويحتمل أنه يرجع إلى القرن السابع الهجرى .

وتوجد على هامشه قراءات وتفسيرات ، أخذت على ما يظهر من الأصل الذى نسخ منه ؛ لأن هناك ألفاظا وشروحا مما يكتبه الناس على الهوامش قد تسربت إلى المتن ؛ لأن الناسخ يظنها عادة تصحيحات . ومن هذه الألفاظ فى مخطوط الأزهر كلمتا المشورة والمشير اللتان حلتا مكان لفظين لم يفهمهما الناسخ وهما التفسير والمفسر . وقد حدث ذلك فى ص ١٨ س ١٠ ، ١٣ ، ١٤ وفى الموضع الأخير نجد " المشورة أو المدح " وهما شرح وشرح للشرح ، وقد تسرب كلاهما إلى المتن . وكذلك نجد المشورة بدلا من التفسير فى ص ١٩ س ٥ ، ١٢ ؛ وفى ص ٢٠ س ١ . ونجد كذلك المشير بدلا من المفسر فى ص ١٩ س ١ . ومما يؤيد رأينا هذا أننا نجد فى ص ١٩ س ١٢ لفظ التفسير فى المتن، بينما نقرأ " المشورة " فى الهامش ، ولعل وجود اسم الإشارة المفرد المذكر قبل كلمة التفسير حال بين الناسخ و بين التبديل .

و يأتى بعد مخطوط الأزهر فى الجودة والإتقان قطعة من كتاب الشفاء كان يملكها المرحوم الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر .

وهذه القطعة كتبت بخط جميل ، وقد ضبطت كلماتها بالشكل و بذلت عناية كبيرة فى وضع النقط . وقد قوبلت بعد أن تم نسخها على مخطوط آخر ، يدلنا على ذلك كتابة القراءات المختلفة فوق الكلمات المقابلة أو تحتها . وقد يكون تاريخ نسخ هذه القطعة متأخرا ، ولكنها قد نقلت عن أصل قديم .

وهذه القطعة محفوظة بمكتبة المجلس البلدى بسوهاج ، عاصمة مديرية جرجا ، تحت رقم ٣٩ منطق .

وأوراقها غير مرتبة ، وقد قمت بترتيب اللوحات الشمسية التى اقتنتها دار الكتب المصرية (٣٠٧٨ و) ليسهل الاطلاع عليها .

وبهذه القطعة ، فضلا عن أجزاء من كتاب السفسطة ، المقالة الأولى من كتاب الخطابة ، والفصل الأول وجزء من الفصل الثانى من المقالة الثانية من كتاب الخطابة أيضا . وبالجزء الذى وصل إلينا من كتاب الخطابة نقص (خرم) يبدأ بعد كلمة موته (ص ٦٨ س ٣) وينتهى بعد كلمة عديدة (ص ٦١ س ١) من كتابنا هذا . ونجد فى نهاية القطعة التى لدينا مكتوبا بخط ناسخها : « تم الجزء التاسع من كتاب الشفاء من المنطقيات ولله الحمد والمنة ، يتلوه إن شاء الله الجزء العاشر فصل فى المنافريات وهو باب المدح والذم » . ووجه الغرابة فى هذا الانتهاء أن الفصل الثانى من المقالة الثانية لا ينتهى عند الكلمات : كان ممكنا فعله (ص ٧٣ س ١٢ من كتابنا هذا) . ثم إن الفصل الذى يتلوه هو فصل فى الأشد والأضعف وختم القول فى المشوريات ؛ أما المنافريات فتأتى فى الفصل الرابع . على أن هذا الختام يدلنا على أن القطعة التى وصلت إلينا كونت قسما من الجزء التاسع ، وأنه قد سبقها وتلاها أجزاء أخرى .

وهذه القطعة الباقية تتبع الفصيلة أو العائلة التى ينتمى إليها مخطوط الأزهر. وآية ذلك اتفاقهما فى أكثر القراءات إن لم يكن كلها ، إذا صرفنا النظر عن الأخطاء التى تنسب عادة إلى النساخ . ومما يؤيد هذا الرأى سقوط موضعين هامين من كل منهما ، ربما لم يكونا فى الأصل الأول ، وأحدهما فى ص ٥٨ ، س ١٤ من كتابنا هذا ، وهو «والمتعطل أقعدته الزمانة والعلة عن الاحتراف» .

ويشارك هذين المخطوطين فى سقوط هذا الموضع مخطوطا سليمانية (داماد) وداماد الجديد . أما عن صلة المخطوط الأخير (داماد الجديد) بمخطوط العطار فسأتكلم عنها فيما بعد،وأما عن صلة مخطوط سليمانية (داماد)بمخطوط الأزهر فيكفى أن أشير هنا الى أن محقق المدخل (إيساغوغى)، مقدمة،ص (٧٥) ظنوا أنهما من أصل واحد،لأنهما يلتقيان فى أكثر من موضع . وثانيهما فى ص٧١س١٠ -- ١١ من كتابنا هذا وهو : « والأفضل أزيد على ما هو دونه ، فيكون الشر الأكبر الذى هو فى نفسه أخص أنقص فى الحقيقة » . ويشاركهما فى هـذا النقص مخطوط سليمانية (داماد) وحده .

ومخطوط داماد الجـديد الذى ذكرت آنفا أنه مرتبط بمخطوطى الأزهر والعطار من أنفس المخطوطات التى وصلت إلينا : خطه نسخى جميل ، وكلماته مضبوطة بالشكل ، وعناوين فصـوله كتبت بخط كبير جدا . ويكفينا فى التدليل على صلة هذا المخطوط بمخطوط العطار أن أشير إلى قراءة عجيبة توجد فى كليهما . يقول ابن سينا فى ص ١٤ س ٣ من كتابنا هذا : كمعاقدة ، ولكن يظهرأن الأصل الأول الذى ينتمى إليه مخطوطا العطار وداماد الجديد كانت به حروف غير واضحة قرأها الناسخان « جمعـاهذه » . وينفرد هذان المخطوطان أيضا بقراءات نذكر منها على سبيل المثـال : ص ٧ س ٤ : الأولتين ؛ ص ١٠ س ٣ : يشرعه ؛ ص ٢٥ س ٥ : المقابلات ؛ ص ٥٥ س ٧ : لغرض ؛ ص ٦٢ س ٧ — ٨ : بتدبير يتدبره .

ويرجع مخطوط داماد الجـديد إلى أوائل القرن الثـامن الهجرى . وقد كتب فى آخره بخط ناسخه أنه اتفق إنجازه فى مستهل ربيع الأول من شهور سنة عشرين وأربعمائة ، وجاء فى هامش آخر صفحة منه : « بلغ قراءة

ومقابلة وأنا مؤلفه أبو على الحسين الشهير بابن سينا . . . بثالث رغب ٤٢٢هـ» .
ولما كان المخطوط الذى وصل إلينا لا يمكن أن يكون من القرن الخامس الهجرى ، ولا يمكن أن يكون قد قرئ على ابن سينا نفسه لأن به مواضع كثيرة قد سقطت سهوا من الناسخ ولم تصحح عند المقابلة ، فمن المحتمل — إن أردنا أن لا نرمى الناسخ بجريمة التزوير والتزييف — أن نعتبر أن التاريخ المذكور فى المخطوط وأن الحاشية المكتوبة فى الهامش كانا فى المخطوط الذى نقل عنه مخطوطنا ، وأن الناسخ — وهو بالتأكيد غير محترف — قد نقل حرفيا ما وجد أمامه .

وهناك فصيلة أو عائلة ثانية من المخطوطات التى وصلت إلينا تتميز عن العائلة السابقة التى مثلنا لها بمخطوطات الأزهر والعطار وداماد الجديد ؛ وهذه الفصيلة الثانية تتمثل بأوضح بيان فى مخطوطى سليمانية (داماد) والمكتب الهندى ؛ وينتمى إليها أيضا مخطوط دار الكتب المصرية (٨٩٤ فلسفة) .

فمخطوط سليمانية (داماد) مخطوط ثمين حقا ، كتب بخط واضح قليل النقط ، غير أنه إذا نقط فكثيرا ما يفعل ذلك بعناية ودقة ؛ وهو خال من الشكل ، ولكنه يضع أحيانا علامة التشديد . ولسنا نعرف اسم ناسخه ولا مكان نسخه ؛ ولكن ذكر فى آخره أنه فرغ من نسخه سنة ٨٣٤ هـ . وقد فقدت منه أوراق أشرت إليها فى موضعها من كتابنا هذا .

أما مخطوط المكتب الهندى فقد كتب فى كشمير عام ١١٤٨ هـ نقلا عن نسخة ترجع إلى سنة ٨٩١ هـ ، كتبه ناسخ متمرن بخط نسخى واضح منقوط دائما . وقد قوبل على نسخة أخرى تنتمى إلى فصيلة (ب ، ح ، سا) السالفة ، وقد كتبت القراءات الجديدة والتصحيحات تارة فى الهامش وتارة فوق الكلمة أو تحتها .

ومما يدل على الصلة الوثيقة بين مخطوطى سليمانية (داماد) والمكتب الهندى ، ويبرهن فى الوقت نفسه على أنها من عائلة متميزة ، انفرادهما دون بقية المخطوطات

بقراءات كثيرة ، يثير بعضها اهتماما شديدا ؛ ومن هـــذه القراءات : ص ٥ س ١٠ : كله ؛ ص ١٢ س ٥ : فالعمود ؛ ص ١٦ س ١٧ : به ؛ ص ٢٤ س ١١ : فضيلة ؛ ص ٢٧ س ٥ : نفس ؛ ص ٢٩ س ١٢ : فاذا ؛ ص٢٩ س ١٥ : بمـا ؛ ص ٣٠ س ٧ : تعاطى ؛ ص ٣٠ س ٣ : وليس ؛ ص ٣١ س ١ : المخاطبة ؛ ص ٣١ س ٢ : أكثرية ممكنة ؛ ص ٤٢ س ٥ : فيها .

وابتداء من ص ٤٤ يكثر انفرادهما بقراءات وسقوط ألفاظ بعينها من كليهما ؛ نذكر منها الأمثلة الآتية :

ص ٧٠ س ١٢ : الجسم؛ ص ٨٥ س ٥ : خلافه؛ص ٨٧ س ٥ : الحلم؛ ص ٩٢ س ٢ — ٣ : فعل مثله فعـلا ؛ ص ٩٢ س ٩ : استكره ؛ ص ٩٨ س ٦ : وهم ؛ ص ١١٤ س ٦ : اليدين ؛ ص ١١٥ س ٨ : ممـا يفعله من القبيح ؛ ص ١١٨ س ٢ : بحسب قوله ومخالفته للواجب حين يقـول ؛ ص ١٢٦ س ١ : كما فى المشاجرة إلى اليمين ؛ ص ١٣٨ س ٦ : فان الكسل.

وأحسب هذه الأمثلة كافية لإثبات الصلة الوثيقة التى تربط بين مخطوطى سليمانية (داماد) والمكتب الهندى .

ولكن ناسخ مخطوط المكتب الهنـدى قد أتيح له أكثر من أصل واحد . ولذلك نلاحظ تشابها بين مخطوطى المكتب الهندى ودار الكتب(٨٩٤فاسفة)[(١)].

وهذا المخطوط (دار الكتب رقم٨٩٤ فلسفة) يرجع إلى القرن الحادى عشر، وهو مكتوب بخط تعليق دقيق ، خال من النقط والشكل ، صعب القراءة

---

(١) أنظر ص ١٤٩ س ٨ : الإنسان ، بالإنسان ؛ ص ١٥٠ س ٣ : بسبب شر ؛ص ١٥٠ س ٨ : ليس ،ص ١٥٠ س ١٢ : والنقمة وهو ؛ ص ١٥١ س ١٦ : بل ؛ص ١٥٣ س٨ : أمن .

على المبتدئ ؛ ولكن بينه و بين مخطوط المكتب الهندى ارتباط ، كما يتفق مع مخطوط نور عثمانية فى بعض القراءات .

بقى علينا أن نستعرض ثلاثة مخطوطات هى : مخطوط المتحف البريطانى ومخطوط نور عثمانية ومخطوط دار الكتب المصرية (٢٦٢ فلسفة) . وقد آثرنا بحثها معا ، لأنها متصلة فيما بينها ، ولكنها لا تكون فصيلة قائمة بذاتها .

فمخطوط المتحف البريطانى قد يرجع إلى القرن الحادى عشر الهجرى ، وهو مكتوب بخط نسخى منقوط دائما ، ولكن نقطه لا يوثق به فى كل حالة ، و إن بقيت فيه قراءات ممتازة ، أذكر منها فى ص ١٨٩ س ١٣ : تخلى ، التخلى ، وهى القراءة التى تتفق والنص اليونانى ؛ وكذلك فى ص ١٣٢ س ٥ : يتطانزون .

و بين مخطوطى المتحف البريطانى ودار الكتب (د ١) صلة ما ، فهما يقسمان المقالة الثالثة إلى سبعة فصول ، و يتركان أول المقالة بدون عنوان ، وكأنه مقدمة .

أما مخطوط نور عثمانية فالأغلب أنه يرجع إلى القرن العاشر وليس به ذكر لناسخه ولا مكان نسخه ، وخطه نسخى ونقطه قليل جدا حتى كأنه غير منقوط . و بينه و بين مخطوط المتحف البريطانى تشابه كبير . وكذلك نجد فيه قراءات عديدة تربطه بمخطوط دار الكتب (د ١) .

أما مخطوط دار الكتب (د ١) فقد كتب عام ١٣٣٧ هـ ، ١٩١٩ م بأيدى نساخ مختلفين من نسخة تصعد إلى سنة ٩٩٢ هـ . وأصل هـــذا المخطوط ، على ما سمعت ، نسخة ثمينة كان يملكها والد الدكتور محمد نور الدين المحامى بالقاهرة ، ولكنها بيعت إلى أحد الأجانب وأخرجت من الديار المصرية . ولو أن دار الكتب المصرية أمرت بتصوير الأصل ، لأعطتنا نسخة يمكن الاعتماد عليها . أما المجلدات التى تقتنيها الآن فقد أفسدها النساخ الذين لم يكن لهم من هم إلا السرعة . ولذا صرفت النظر عن هذا المخطوط ولم أذكره إلا إذا كان هناك فائدة محققة .

الفن الثامن

من

الجملة الأولى

من

المنطق

ريطوريقا

أربع مقالات

المقالة الاولى

سبعة فصول
